مع كتاب المؤلف والباحث عبدالقادر أحمد قائد.. الأغنية اللحجية موسيقى وزمن

› كتب/ شوقي عوض

كيف يمكن لنا أن نكتب النوتة بالطريقة العلمية الصحيحة ونقرأها وكيف أصبح واقع الأغنية اليمنية بشكل خاص والعربية بشكل عام؟!

هذه التساؤلات وغيرها سنعرفها من خلال قراءتنا لذلك الكتاب الموسوم بـ(قراءة موسيقية في نشوء وتطور الأغنية اللحجية) لمؤلفه الباحث الموسيقي عبدالقادر أحمد قائد الأستاذ المحاضر في مادة النظريات الموسيقية العامة بمعهد جميل غانم للفنون الجميلة (بعدن) وعلى هذا الأساس قد يتساءل السائلون ما السبب في ذلك الاهتمام والتركيز في التوثيق للأغنية اللحجية عن غيرها من الأغنيات اليمنية؟.. ولماذا كانت قبلة الإبداع بلحج منتهى اليمن؟ حيث اهتم وركز الباحث والناقد عبدالقادر أحمد قائد علي بدراسته في الكتابة عن مراحل تطور الغناء في لحج وتوثيقه لكثير من الألحان اللحجية القديمة واهتم كثيراً بإيقاعاتها وأنغامها ومقاماتها الموسيقية المختلفة، وكما يبدو لي أيضاً أن الإجابة واضحة عن ذلك السؤال المفتوح نظراً لما تعرضت له هذه الأغنية اللحجية من إجحاف وإهمال وتحريف من قبل بعض الفنانين الذين قاموا بإدخال تحريفاتهم على كثير من تلك الألحان سواء أكان ذلك بقصد أو غير قصد.

ثانياً: لحماية هذه اللون الغنائي اللحجي من القرصنة الفنية وممن ينسبون لأنفسهم ما يحلو لهم من هذه الأغاني دون ذكر المصدر الحقيقي لمؤلفيها من المبدعين سواء أكانوا شعراء أم ملحنين الخ.

حسب مؤلف الكتاب الباحث الناقد عبدالقادر أحمد قائد والذي توزع كتابه في بابين:

الباب الأول: الأغنية اللحجية ومراحل نشوئها
مرحلة السائد التراثي
مرحلة التشكل الجديد
مرحلة النضج والاكتمال ورحلة المبدع أحمد فضل بن علي محسن العبدلي المشهور بالقمندان وتلميذه فضل محمد اللحجي.

إضافة إلى أن الكتاب قد احتوى على أكثر من مائتي أغنية مدونة بالنوتة الموسيقية بضروبها الإيقاعية ومقاماتها الموسيقية ونصوصها الشعرية.. إلى جانب تضمين الكتاب العديد من الصور النادرة لكثير من الشخصيات الفنية والأماكن التاريخية المحفورة في ذاكرة ذلك الفن الجميل.

فيما يتناول في الباب الثاني من الكتاب والموسوم بـ(فضل محمد اللحجي نهر العطاء المتجدد) بعضاً من جوانب السيرة الذاتية والفنية من حياة هذا العبقري الموسيقار فضل محمد اللحجي وما قام به من إسهامات ثقافية وفنية وتأسيس للمسرح والندوات الموسيقية في لحج ومعاصرته لكثير من المطربين وتبنيه للمواهب الفنية الشابة أمثال الفنان الشاب "آنذاك" مهدي درويش والذي قدم له في عام 57م أغنيتين من كلمات الشاعر صالح نصيب (يا اللي تركت الدمع) وهي من مقام الراست وجنس الحجاز على النوى وجنس البياتي على النوى وعلى إيقاع الزف الميحه – و(يذكرني القمر خده) وهي من مقام الراست وعلى إيقاع الشرح اللحجي الثقيل (سلطاني) على ميزان رباعي مقسوم.

ومن الوجوه التي تبناها الملحن الموسيقار فضل محمد اللحجي آنذاك أيضاً الفنان عبدالكريم توفيق والذي قدم له لحنين من كلمات الشاعر صالح نصيب، فقد غنى له لحن (يقللي الليل توب) والمبنية على مقام الراست على درجة النوى في المذهب، أما الكوبليه فمبني على جنس الحجاز على الدوكاه – كما دونت في لحن البيت الذي يقول (قال ياما ناس من قبلك شكت ظلم القلوب) ثم يعود إلى المقام الأساس الراست بعد أن يبقى على الدرجة الخامسة ويطيلها معلناً ومؤكداً عودته ومسلماً من خلال البيت الذي يقول (وزاد القلب بالآهات.. وزاد النوح والأنات واللوعة تقل.. لليل ذا نصحك ذنوب) الخ.

وهكذا يظل اللحن حتى نهايته ينتقل من مقام الراست إلى جنس الحجاز وعلى إيقاع الشرح اللحجي الثقيل "السلطاني" وغنى أيضا (يلومونى – يلومونى) المبنية على مقام الراست وعلى إيقاع الشرح اللحجي الثقيل "السلطاني".

كما قدم للفنان علي سعيد العودي ومن كلمات الشاعر صالح نصيب (يواعدني)، (ألا يانجمة الفجر)، (ليه تغدر، ليه تهجر)...الخ.

تلك هي نماذج من الألحان والكيفية التي بها استطاع الملحن الموسيقار فضل محمد اللحجي الحفاظ على ألحانه وما شكلته من انعطافه تاريخية ونقلة نوعية ولحنية في تاريخ الاغنية اللحجية – والتي لم تكن تمرداً على مدرسة أستاذه أحمد فضل "القمندان" بل كانت امتداداً لها مع احتفاظها بالأصالة والانتماء للأغنية اللحجية.

بالإضافة إلى أن الملحن الموسيقار فضل محمد اللحجي له دور كبير في تطوير الأغنية اللحجية مع مجموعة من أصحاب المدارس اللحنية كما يشير إلى ذلك الباحث والناقد عبدالقادر أحمد قائد لما بعد القمندان أمثال عبدالله هادي سبيت، الأمير عبده عبدالكريم، الأمير محسن بن أحمد مهدي، محمد سعد الصنعاني، صلاح ناصر كرد، محمود علي السلامي، حسن عطا، سعودي أحمد صالح، فيصل علوي سعد، عبدالله محمود حنش، عوض أحمد كريشة، أحمد سالم مهيد، فضل كريدي، هادي سعد شميلة..الخ.

وعلى العموم فإن الكتاب يبقى وثيقة تاريخية لقراءة تذوقية وتحليلية، ويمتاز بمنهجه الأكاديمي والعلمي في الاهتمام بجمع تراثنا الغنائي المتناثر هنا وهناك وتدوينه نغماً وإيقاعاً بالنوتة الموسيقية.. ثم دراسته وتبويبه كخطوة أولى بفتح هذا الباب أمام الدارسين من الموسيقيين والباحثين في تاريخ وموسيقى الفن اليمني القديم والحديث والمعاصر.

وقد عني الباحث والناقد الموسيقي عبدالقادر أحمد قائد في البدء بوضع اللبنات الأولى في جمع وتدوين أغانينا الشعبية بألوانها المختلفة وبإيقاعاتها وأنغامها ومقاماتها الموسيقية بالطريقة العلمية الصحيحة والتعريف بالرواد الذين تحملوا على عاتقهم مسؤولية الحفاظ على هذا التراث.

وعلى هذا الأساس يبدو لي أن الموسيقى هي أفضل وسيلة لدينا لاحتمال الزمن وهضمه – وضرب من اللغة المتناغمة – كما أن اللحن أو التنغيم هو أساس الموسيقى، ولذلك فإن حياة الإنسان في كل جزء منها وبين الحين والآخر تحتاج إلى التناغم والإيقاع واللغة على حد تعبير الفيلسوف اليوناني أفلاطون.

ومن هنا لعلها جاءت هذه القراءة البحثية للباحث والناقد عبدالقادر أحمد قائد علي لتشير إلى مدى احتياجنا لمثل هذه الأبحاث من الدراسات النقدية المعمقة في مجال الموسيقى وافتقار مكتباتنا إليها وما تعانيه من تصدع في هذا المجال لتملأ وتسد هذا الفراغ العويص في علم ودراية وبكل منهجية وموضوعية دون تحيز لمنطقة ما أو لون من الألوان الغنائية والمؤلف وكما هو معروف يعد هذا العمل (قراءة موسيقية في نشوء وتطور الأغنية اللحجية) الثاني بعد كتابه الأول في مجال البحث والتوثيق (من الغناء اليمني – قراءة موسيقية) الذي صدر في طبعتين عام 2004م ضمن إصدارات وزارة الثقافة صنعاء عاصمة الثقافة العربية 2004م وقدم من مواده لإذاعة صوت الخليج بدولة قطر (15) حلقة بصوته وكانت بعنوان (من الغناء اليمني) وذلك عام 2011م.

فهو إلى جانب ذلك يعمل محاضراً في مادة النظريات الموسيقية العامة منذ عام 82م بمعهد جميل غانم للفنون الجميلة (بعدن).

كما جاء إصدار هذا الكتاب (قراءة موسيقية في نشوء وتطور الأغنية اللحجية) في مجلد ضخم وأنيق من حيث الإخراج الفني. وقد احتوى على (730) صفحة ويعد ثاني إصدار للمؤلف.

والكتاب في اعتقادي يشكل مادة علمية وبحثية في مجال التواصل بالبحث في التراث الغنائي اللحجي والفني والموروث الغنائي وكذا الامتدادات التي ساعدت على نشوء وتطور هذه الأغنية اللحجية بوجه خاص والأغنية اليمنية بشكل عام.

والكيفية التي ينبغي فيها الحفاظ على أصالتها من عبث العابثين حيث ارتبطت هذه الأغنية اللحجية بداية بفن الصوت وبظهور الموروث الشعري وبالآلات الموسيقية التقليدية أشهرها آلة (العود)، المراويس، (الهاجر).. الخ، والتي شكلت في مضمونها وارتباطها وبإيقاعاتها الشعبية المختلفة المخيال المجسد والقريب للبيئة اللحجية والمحلية.

وذلك ما يجعلنا نشهد بالقول بأن الباحث والناقد عبدالقادر، أحمد قائد علي لا يقل مكانة ومستوى في مكانته العلمية والبحثية الأكاديمية عن الباحثين من النقاد العرب والذين يكتبون في إطار هذه التخصصات الموسيقية والنقدية عن أغنيتنا العربية ومشاهيرها في الغناء والطرب العربي الأصيل في الوطن العربي.

وذلك ما يبدو جلياً وواضحاً في دراسته البحثية ومؤلفاته الموسيقية الصادرة والقضايا النقدية الفنية التي يتناولها ويخوض غمار الغوص فيها بعمق الباحث الناقد – والمؤرخ الموسيقي المتمكن وما شكله من أهداف عامة وخطوط انسيابية متناغمة في مجال التدوين الموسيقي والكتابة بالنوتة الموسيقية وبشكلها العلمي والصحيح.

سطور

يوم الظنون للشاعر عباس محمود العقاد

› إعداد / داليا عدنان الصادق

طغت شهرة العقاد الكاتب على شهرته شاعراً وأصبح اسمه مرتبطاً بسلسلة كتب في العبقريات والمؤلفات الإسلامية والتراجم الأدبية وأدب المقالة أكثر من ارتباطه في وجدان القارئ بشعر العقاد الذي تضمه دواوينه العشرة بدءاً بديوانه الأول « يقظة الصباح» وانتهاء بديوانه الأخير « بعد البعد « مروراً بدواوينه المتتابعة «وهجالظهيرة » و «أشباح الأصيل» و «أشجان الليل» و « وحي الأربعين» و « هدية الكروان » و « عابر سبيل » و « أعاصير مغرب » و « بعد الأعاصير » .

العقاد الشاعر إذن صاحب تراث شعري ضخم وقصائده التي تنتمي إلى الاتجاه الشعري الذي استحدثته جماعة الديوان إشارة إلى كتاب « الديوان» للعقاد والمازني تحمل سمات الرومانسية والتأمل والتعبير عن الوجدان وتنضح بوعي العقاد وثقافته الواسعة وقدرته على تحويل جزيئات الحياة إلى رؤية شعرية خاصة في ديوانه « عابر سبيل » الذي يعلن في مقدمته إن إحساس الشاعر بشيء من الأشياء هو الذي يخلق فيه اللذة ويبث فيه الروح ويجعله معنى شعرياً تهتز له النفس.

وبقدر ما تبدو صورة العقاد في كتاباته الشعرية وكأنها صورة لشخصية قوية مسيطرة وقلم جبار وإرادة فولاذية فإن صورته في شعره تعكس جوانب نفسه الإنسانية وضعفه البشري وتكشف عن مساحات هائلة من الحنان والطفولة والعذوبة في العقاد الإنسان خاصة عندما يحب ويغار ويشك ويساوره القلق وتقتله الظنون وقصيدته « يوم الظنون» نموذج لشعر العقاد المتميز لغة واسلوبا وموقفاً وقدرة على الكشف والحوار والتأمل ونفاذاً إلى السر البعيد وراء الأشياء وخلف المكونات في إطار من الأسى الشفيف والحزن الإنساني النبيل.

يقول العقاد :

يوم الظنون صدعت فيك تجلدي
وحملت فيك الضيم مغلول اليد
وبكيت كالطفل الذليل أنا الذي
ما لان في صعب الحوادث مقودي
وغصصت بالماء الذي أعددته
للري في قفر الحياة المجهد
لاقيت أهوال الشدائد كلها
حتى طغت فلقيت ما لم اعهد
نار الجحيم إلي غير ذميمة
وحذي إليك مصارعي في مرقدي
حيران انظر في السماء وفي الثرى
وأذوق طعم الموت غير مصرد
أروى وأظمأ عذب ما أنا شارب
في حالتي نقيع سم الأسود
وأجيل في الليل البهيم خواطري
لا شارق فيها ولا من مسعد
وتعيدلي الذاكرات سالف صبوتي
شوهاء كاشرة كما لم اشهد
مسخت شمائلها وبدل سمتها
وبدت بوسم السعير مخلد
يا صبوة الأمس التي سعدت بها
روحي وليت شقيها لم يسعد
وعرفت منها وجه أصبح ناضر
ورشفت منها ثغر العس أغيد
سومحت بل جوزيت كيف وعيت لي
بالأمس فيك ضراوة الذئب الصدي
سومحت بل جوزيت كيف طويت لي
زرق الأسنة في الاهاب الاملد
أمسيت حزي في الظلام وطالما
جليت لي وجه الظلام المربد
ورجعت اهرب من لقاك وطالما
ألقيت عندك في الشدائد مقصدي
ما كان من شيء يزيد تنعمي
إلا يزيد اليوم فيك تلددي
أو أن من أمسي ومن يومي معاً
والويل من طول التردد في غد
أهب الخلود كرامة لمبشري
إن ليس يومي في العذاب بسرمد
وأبيع حظي في الحياة بساعة
أنسى بها عمري كأن لم أولد
وأسوم مرعى العيش غير مزود
وارود روض الحسن غير مقيد

خاطرة

ثورة إنسان

› عبد الملك ياسين

جرحتيني
وكم مرة جرحتيني
و أنا صابر
وأتحمل
لأجل الحب
ما يرحل
ولجل الورد
ما يذبل
اسقي الورد من دمعي
وأنادي الحب
لا تزعل
أنا الغلطان
×××
ولم الجرح في صدري
و أدنو منك
أتوسل
اقل لك
أقبلي عذري
تقولي لي كفاية
ارحل
اقل للحب
ماذا اعمل؟
يقل لي اصبر
ومن أجلي
ورد الصد
بالإحسان
ومن طبع الذي يهوى
على من حب
يدلل
ويقنعني
وارجع لك
وأنا في داخلي إنسان
يتعذب
ويتعلل
وأخضع لك
خضوع العبد
للسلطان
وأسقي الورد من
دمعي
وأتذلل
وأنا عمري لغير الله
ما انذليت
ولا مرة طلبت
الصفح
من إنسان
×××
ودفنت الجرح بعد
الجرح
ونسيته
مثلما الأول
لان الحب عودني
على النسيان
ولأنك ما عرفتي
الحب
ولا مرة
بقلبك حل
وعرفتي
طاعتي للحب
وإيثاري على العشرة
تعودتي
على العصيان
وجرحتيني
ولكن جرح ذي المرة
نبش
قبر الجروح
وأحياهم من الأول
وذكرني
ليالي القهر
والأحزان
وجمد
دمعتي في العين
وفجر
ثورة الإنسان
في صدري
وخلاني
أدوس الورد
من قهري
وما أقبل
لصوت الحب ...
كلمة
أو أضع له
شان
وذي المرة
أنا من بعد ما علمت
قلبي الحب
علمته
بشق النفس
أن يكره
وعلمته يبيع الحب
ويتمرد على العشرة
إذا كان الثمن
غالي
وأغلى شي في الدنيا
عرفته
عزة الإنسان

نص

في وجه قروية

› عمار الجنيد

كحمرة الشفق
في وجه قروية
نسيت أصابعها طعم
النار
وهي تقلب الذرة
الشامية
على جمر ابتساماتها
يضيء صوتك في
دمي
فألتهم إحساسي
على مهل
اترك جسدي نائما
في جوف شجرة
غرسها أبي في يوم
ميلادي
كي نكبر معا
أنا لا أتذكر اسمي كي
أحدثك عنها
اغضب من وجودي
فأبث حزني لأوراقها
أقلم ألمي النابت في
أغصانها
انزع حشائش حيرتي
من ترابها
أراقب ظمأها
وأغار عليك من الماء
....

ترانيمي

› فاطمة رشاد

(شعارات مصطنعة)

كانت تظن أنها ستجعل العالم يسير خلفها بأفكارها الخطيرة.. ولكنها عادت خائبة لم يستمع لها احد تركوها وشعاراتها المصطنعة.